"الأيديولوجيا"، "النقد" قد فقدت زخمها القديم في وضع المثقفين على المحكّ، وتكون أيضاً قد خسرت وظيفتها المشروعة اجتماعياً: وتحديداً اقناع الجماهير قاطبةً بأنهّ يوجد (و يجب أن يكون) واقع مطلق وراء الظواهر، وبأنّ الحقيقة لابدّ سترى النور على المدى الطويل، مهما تكن طبيعة التضليل الإعلامي الراهن. ولكن، هذا الإيمان بالذات ــ كما يرى بودريار ــ هو مايمنع "الجماهير" (أي، متفرّجي التلفزيون الأسرى، قرّاء المجلاّت التجارية [تابلويدز]، المشاركين في استطلاعات الرأي، الخ) من إدراك خدعة الثقة الكبرى التي مورست باسم الديموقراطية الليبرالية حيث أنّ الحقيقة تُحدّد ببساطة وبشكل صرف وفقاً لمعايير الإجماع السائدة. إلى هذا الحدّ كانت حرب الخليج بحرّد مثال باذخ لما كان كلّ هذه المدة قضيةً تتعلّق باعتمادنا على مصادر معلومات لاتملك أدنى تشابهٍ مع المصداقية "الحقيقية" المعبّرة عن الحقيقة. وهكذا فإنّ أفضل درسٍ ــ بل الدرس الوحيد ــ الذي يمكن أن نتعلّمه من هذه الحرب هو الحاجة إلى ممارسة "ذكاء مرتاب" يرفض بأن يستسلم، **ليس** "للظواهر" فقط، (طالما أنّ الظواهر هّي كلّ مانملك) بل ولفكرة أنه يوجد حقيقة خلف "الظواهر"، أو مستوىً معين من الإحالة الواقعية الصلبة والمسؤولية الأخلاقية التي مايزال ممكناً استحضارها بواسطة صحفيين استقصائيين، ومثقفين نقديين، وآخرين لهم مصلحة مبدئية في فضح المدى الذي بلغه تواطؤ وسائل الإعلام. كان يمكن لأفكار كهذه ــ كما يسلّم بودريار ضمنياً ــ أن تعني شيئاً خلال الفترة التي كانت فيها الحروب تُشنّ في زمان ومكان "حقيقيين" يشرطان أرض المعركة بحيث يكون الحديث عن "النصر"، التقدّم أو التراجع، التفوّق التكتيكي وما إلى ذلك، قابل للبرهنة بالإستناد إلى دليل تمدّنا به مصادر ميدانية (من الخطوط الأمامية). لكن، وفي حرب الخليج، لايمكن لمعايير كهذه أن تصلح أو تُطبّق بما أنّ المتحاربين، والإستراتجيين، والسياسيين، والمعلّقين، المتفرّجين والقراء على حدّ سواء، كانوا جميعاً أسرى لآلةٍ عملاقة من تصنيع الوهم بربحت أدقّ